كلمة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي
وزير سابق في الجزائر

في الذكرى الأربعين لوفاة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام.

أيتها الأخوات، أيها الإخوة.

بقلب مفعم بالحزن والأسى والألم تلقينا نبأ وفاة العالم الجليل والصديق العزيز الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية في سورية الشقيقة الذي فَقَدَتْه سورية والأمةُ العربيةُ جمعاء.

عرفتُ الفقيدَ العزيزَ عام ١٩٦٥م حينما كان سفيرًا لسورية بالجزائر، وكنتُ آنذاك وزيرًا للتربية الوطنية، كان سعيدًا جدًا باستقلال الجزائر وبوجوده فيها، عاصرَ خُطُواتِها الأولى وعاش المشاكل التي واكَبَتْ بداياتِ الاستقلال، وكان متحمسًا للمساهمة في معركة البناء للجزائر الحبيبة وخاصةً في ميدان التربية والتعليم، لكونه واحدًا من أئمة رجالاتها المختصين في هذا المجال، وقد عاصر التصحيح الذي عرفته الجزائر يوم ١٩ حزيران عام ١٩٦٥م.

وهو الوحيدُ من السفراء العربِ، الذي اخترق الحصار المفروض على الوالد المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من طرف السلطات التي سَبَقَتْ تولي الرئيس هواري بو مَدين زمامَ الحكم فذهب إليه وقابله بمنزله أواخرَ عام ١٩٦٤م. وقد كان يُكِنُّ له – كما ذكر – كلَّ محبة وإعجاب وتقدير لما قرأه له وما سمعه عنه وعن علمه ونضاله باعتباره أحد قادة الحركة الوطنية

والإصلاحية والعلمية بالجزائر، وتبادل معه الحديث في مختلف المواضيع السياسية والعلمية والأدبية، وحدَّثه الشيخ عن ذكرياته أيام إقامته بدمشق إبَّان الحرب العالمية الأولى وما تلاها من أحداث، وقد أعرب الدكتور شاكر عن فرحه وسعادته بهذا اللقاء الذي تطلع إليه كثيرًا، وكذلك الوالد فقد سُرَّ بهذا اللقاء وهو على فراش المرض.

كان الفقيد خلال إقامته بالجزائر يعمل جاهدًا لإنجاح سياسة التعريب التي سنَّها الرئيس هواري بو مدين، رحمه الله، فحرص على استقدام خِيرة المعلمين والأساتذة من سورية لتدعيم مسيرة التعريب فيها، وخاصةً في التعليم العالي، حيث أن الجامعات الجزائرية كانت بحاجةٍ ماسةٍ لأساتذةٍ أكفياء لتكوين الإطارات التي ستحمل المِشعل وتبني الجزائر الجديدة، وقد قدم إلى الجزائر في عهده عدَدٌ كبيرٌ من خيرة الأساتذة الجامعيين المختصين في مختلف فروع العلم والمعرفة للتدريس في جامعة الجزائر، أذكر منهم على سبيل المثال الأساتذة الدكاترة: إحسان النص، شكري فيصل، بديع الكسم، أسعد الدرقاوي، وحيدر سوار، هشام الصفدي، محمود الربداوي، وليلى الصباغ.

وكان هؤلاء الأشقاء الأساتذة العرب سعداء في عملهم.

وكان المرحوم السفير الدكتور شاكر بصفته أستاذًا جامعيًّا ومربيًّا كبيرًا يشرف بنفسه على هذه البعثات التعليمية ويتابع أعمالها ونشاطاتِها ويَمُدّها بآرائه وملاحظاته ويذلل ما يعترضُها من عراقيل بيروقراطية.

كانت الحياة الاجتماعية بالجزائر في سنوات استقلالها الأولى تتسم ببعض الصعوبات وخاصةً بالنسبة للقادمين إليها من البلدان العربية، فكان يواجه

هذه الصعوبات برحابة صدرٍ وقلبٍ كبير محب للجزائر وأهلها وثورتها ونضالها، وكان يرد على بعض أعضاء البعثة التعليمية بأنهم جاؤوا لتأدية رسالةٍ مقدسةٍ تتمثل في الإسهام في التعريب وتكوين الأجيال.

وكان الفقيد يتحاور مع الناس فيدخل إلى قلوبهم بلطفه ودماثته وتواضعه وكرم أخلاقه وفهمه العميق لأغوار الطبع الجزائريّ الحاد النابع من قساوة الاستعمار الذي رزحت تحته الجزائر وشعبها طوال قرنٍ وثلث القرن في استعمار استيطاني بغيضٍ ليس له مثيل.

ولما عاد الدكتور شاكر إلى سورية بعد انتهاء مهمته بالجزائر وعُيِّن رئيسًا للجامعة ثم وزيرًا للتعليم العالي، بقي على العهد به يواصل تدعيم التربية والتعليم والتكوين بالجزائر وإعطاء المنح للطلبة الجزائريين ليدرسوا في الجامعات السورية.

كان الفقيد العزيز من أبرز علماء سورية، يوظف علمه ومعرفته وتجربته في النضال لبناء الإنسان العالم العامل ليكون عضوًا فعالاً في المجتمع.

عندما توليتُ المسؤوليات الوزارية المختلفة لأكثر من عشرين عامًا كنا نلتقي حين أزور دمشق، إما في مكتبه بوزارة التعليم العالي أو في منزله حيث توطدت العلاقة بيننا وبين أسرتينا، وبعد ذلك كنت أزوره في مكتبه برئاسة مجمع اللغة العربية، وكان موضوع حديثنا دائمًا هموم الأمة العربية والإسلامية، ومحاولة إحياء التراث العربي وتعزيز العلاقات الجزائرية السورية.

وكنت في كل مرة ألتقي فيها بالرئيس المغفور له حافظ الأسد أحدِّث الدكتور شاكر عن بعض ما تمَّ في هذا اللقاء، وعن الاهتمام الكبير الذي يوليه

الرئيس الأسد للجزائر وحرصه على الاطلاع على أحوالها ومسيرتها في كل المجالات، وتحمّسِه لتقدمها وازدهارها، وقد كانت تربطه بالرئيس المرحوم هواري بو مدين علاقةٌ وثيقةٌ ومحبة وإعجاب متبادل حيث كانت آراؤهما ووجهات نظريهما بالنسبة للقضايا العربية والعالمية متقاربة ومنسجمة.

وقد التقيت بالدكتور شاكر رحمه الله بالعديد من المنتديات العلمية والأدبية والفكرية في بعض البلدان العربية والإسلامية، فكان عضوًا فعالاً في العديد من المجامع والأكاديميات العلمية في العالم العربي وأمريكا وألمانيا وكنا نلتقي كل عام.

كان الفقيد الكبير يتمتع بذكاء خارق وسرعة بديهة وعاطفة جياشة، وكان دائمًا بشوش الوجه منشرح الصدر يميل للدعابة البريئة ويتذوق النكتة.

رحم الله الفقيد العزيز والأخ الصديق الدكتور شاكر الفحام رحمةً واسعة وجزاه خير الجزاء على ما قدَّم من أعمال صالحةٍ وما ألَّف من آثار خالدة تُبقي ذكره على مر الزمان.

وأصدق التعازي مني ومن أسرتي للسيدة الفاضلة مديحة قرينة الفقيد ورفيقته في مسيرة حياته الحافلة بجلائل الأعمال، ولكل أبنائه وبناته وأصدقائه ومحبيه.

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ